الغناء والموسيقى والمجالس الاجتماعية
في العصر العباسي

للدكتورة ناجية رحمة الله
قسم التاريخ – كلية البنات – جامعة بغداد

اهتم العباسيون اهتماماً كبيراً بصناعة الغناء والموسيقى. ولم تكن هذه الصناعة جديدة عليهم، فالعرب في الجاهلية كان لديهم غناء بسيط يسمى بالحداء ثم اشتق منه الغناء المعروف، ويقول المسعودي « لم تكن أمة من الأمم بعد فارس والروم أولع بالملاهي والطرب من العرب»[1] . وظهر من المغنين المشهورين في العصر الإسلامي الأول ابن محرز وابن سريج ومعبد والغريض وغيرهم[2] .

وفي العصور العباسية تطورت صناعة الغناء والموسيقى تطوراً كبيراً . وبلغت ذروة الكمال[3] عند ظهور المغنين كابراهيم وإسحاق وغارن وابن بانة وابن جامع وعلوية هذا وقد شاركت المرأة الرجل في هـــذا الميدان، وبرزت بعض الجواري المغنيات كعريب جارية المأمون وشارية وبدعة وشاجية وغيرهن كثيرات .

ولا بد من وجود دوافع وأسباب أدت إلى تطور هذه الصناعة تطوراً بعيداً لدى جميع طبقات المجتمع حتى العامة[4] . ونلخص من هذه الأسباب :

١ — التأثر بالفرس ثم بالروم الذين أصبحوا موالي للعرب المسلمين بعد الفتوحات ؛ فغنوا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير، وسمع العرب تلحينهم فلحنوا عليهم الأشعار[5] . هذا فضلا عن كثرة الجواري اللواتي أخذن كسبايا في الحرب . وأغلبهن من الفارسيات والروميات اللواتي حمل البعض منهن ثقافتهن الأصلية ثم تثقفن على أيدي

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ١٦٠
(٢) الأصفهاني : الأغاني، ج ٢ ص ٢٦٨
(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٠٠
(٤) ابن طيفور : بغداد ص ١٥١ ؛ التوحيدي : الأمتاع والمؤانسة ص ١٧١ــ١٧٣
(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٠٠

النخاسين ، فبرزن فى الأدب والشعر الغناء وأقيمت الأسواق لبيعهن ، حتى بلغ سعر البعض أربعة عشر ألف دينار[١] وربما أكثر ، ولعب بعضهن دوراً كبيراً فى قصور الخلفاء والأمراء ، كما فعلت عريب التى جمعت بين الأدب والغناء . وهناك البعض ممن برزن فى اللعب على الآلات الموسيقية ، واشتهرت عبيدة[٢] الطنبورية التى جمعت بين الأدب والشعر والموسيقى ، وقد ذكرها جحظة فى كتاب «الطنبوريين والطنبوريات» ؛ ومنهن من اتصفن بحسن السلوك والأدب والتصرف مع الغناء . ذكر ابن طيفور أن جارية أهداها عبد الله بن طاهر إلى المأمون فلما دخلت عليه قال لها : غنى ياجارية فغنت وهى قائمة ، فقال لها : لم غنيت وأنت قائمة وما منعك من الجلوس ؟ فقالت ياسيدى أمرتنى أن أغنى ولم تأمرنى أن أجلس فغنيت بأمرك وكرهت سوء الأدب فى الجلوس بغير إذنك . فوهب لها مالا واستحسن ذلك منها[٣] .

أما شاجية التى عرفت بحبها للغناء والموسيقى فقيل أن المعتضد سألها يوماً عند حضورها فى دار الخلافة « هل رأيت شيئاً لم تر مثله عندنا فاستحسنته ؟ » فقالت « لا والله إلا عوداً من عود »[٤] وهى التى شهد لها المغنى جحظة بقوله : فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يعد عينه بشىء يستحسنه سوى عود[٥] . وغيرهن كثيرات .

هذا ، وللمغنين دور كبير فى تطور الغناء والموسيقى ، بعضهم من أصل أجنبى نقلوا الثقافات القديمة وأضافوا إليها ثقافة العرب ، فبرزوا ليس كمغنين فقط بل كأدباء وشعراء — بل حتى فقهاء — مع الغناء والموسيقى . فهذا إبراهيم الموصلى[٦] الفارسى الأصل كان بارعاً فى صناعة الغناء والموسيقى ، حتى أن ثلاثين جارية ضربن جميعاً طريقة واحدة وغنين فى الأوتار وتراً غير مستو ، فأخذ يشير إلى إحداهن قائلا : يا فلانة شدى مثناك ؛ فتشده وتستوى الأوتار[٧] .

---

(١) الصوى : الأدران ص١٠١
(٢) الأصفهانى ، الأغانى جـ ١٩ ص ١٣٢
(٣) طيفور ، بغداد ص ٩١
(٤) الشابشتى ، الديارات ص ٨
(٥) التنوخى ، نشوار المحاضرة جـ ١ ص ٦٣ ، ٦٤
(٦) الأصفهانى ، الأغانى جـ ٥ ص ١٧٠ وما بعدها
(٧) تاريخ العرب مطول ص ٥٠١ — ٥٠٤ جـ ٢

وهكذا كان ابن إسحاق الوصلى له مقدرة وتفهم للغناء والموسيقى كأبيه ، ذكر أن يوماً فى مجلس المأمون جلست عشرة على يمين المأمون وعشرة جوارى عن يساره ومعهن العيدان يضربن بها ، وكان ابراهيم بن المهدى حاضراً ، فبدأن بالغناء والضرب ؛ فوجد إسحاق هناك خطأً من الناحية اليسرى ؛ فأنكره إبراهيم وأكد عليه إسحاق ، وظهر صحة قوله وتعيينه للخطأ ؛ فشهد له المأمون ببراعة فى هذه الصنعة وتفوقه على إبراهيم بن المهدى ؛ إذ قال لإبراهيم «لا تمار إسحاق بعدها أن رجلا فهم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حلقاً لجديد الأغارية »(١) ، ويقول الأبشيهى إن إسحاق كان يصنع الألحان العجيبة . ووصف خرداذبة للمعتمد خصائص المغنى بقوله : « قد تمكن من أنفاسه ولطف فى اختلاسه وتفرغ فى أجناسه »(٢) .

وكان لاهتمام الخلفاء بالغناء أثره فى ارتفاع منزلة المغنين والغناء فى المجتمع ، فالاهتمام بالمغنين كان منذ العهد الأموى حتى قيل أن الوليد هو أول من جلب المغنين من البلدان إليه(٣) . وهكذا فعل الرشيد الذى فاق جميع الخلفاء فى تقديره للمغنين — بالإضافة إلى العطاءات والهدايا — وجعلهم مراتب وطبقات(٤) : أولها إبراهيم وإسحاق وابن جامع وزلزل وغيرهم ، وآخرها أصحاب المازف والونج والطنابير . وعلى قدر ذلك تخرج جوائزهم(٥) وإذا أظهر أحدهم براعة رفع إلى المنزلة العليا . وهكذا فعل برصوما الزامر وهو من الطبقة الثانية عندما طلب منه أن يزمر لغناء ابن جامع فرفض وقال : لا أزمر فإن كنت أزمر على الطبقة العالية رفعت إليها ، فإما أن أكون فى الطبقة الثانية وأزمر على الأولى فلا أفعل . فطلب الرشيد من صاحب الستارة أن يرفعه إلى المرتبة الأولى(٦) . وماذا نقول فى تقدير خليفة المغنين حيث يذهب بنفسه إلى دار المغنى ، كما فعل الرشيد عندما ذهب يوماً مع أربعمائة خادم أبيض إلى دار المغنى إبراهيم(٧) .

(١) الأصبهانى ، الأغانى ج ٥ ص ٢٨٥
(٢) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٦٠
(٣) المسعودى ، مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧١
(٤) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ١١٦
(٥) الجاحظ ، التاج ص ٣٩
(٦) الجاحظ ، التاج ص ٤١
(٧) الأصفهانى، الأغانى ج ٥ ص ٢١٨

وهذا المأمون الذى اشتهر عصره بالعلم والمعرفة فى جميع النواحى ، كان لا يتردد فى السماح لإسحاق المغنى أن يدخل عليه بزى الفقراء وهو سائر بجانب قاضى القضاة أحمد بن داود ، مما أثار الدهشة عند الناس والحسد لدى مخارق وعلوية[1] . هذا ، وطلب إليه أيضاً أن يدخل مع أهل العلم والأدب والرواة لامع المغنين ، فإذا أراده للغناء غنى[2] . وسأل المأمون يوماً أن يحضر الصلاة مع الفقهاء فى المقصورة يوم الجمعة ، فأجابه المأمون «ولا كل ذا يا إسحاق» وقد اشتريت هذه المسألة بـ ١٨٠ ألف درهم»[3] . وهكذا فعل الواثق مع المغنين . قيل كان يحضر إسحاق إلى مجلسه بدون عود ، فإذا طلب منه الغناء أعطى له عود[4] . وكذلك الراضى[5] والمقتدر وغيرهم . أما الخلفاء القادر والقاهر والمهتدى الذى طرد المغنين وحرم الغناء ومنع الملاهى وقبضها عليهم من الرجال والنساء والحرائر والأماء وكسر آلات الطرب وأمر ببيع الجوارى على أنهن سواذج ... إلى آخره .

وهناك سبب آخر هو تفهم واطلاع ومعرفة بعض الخلفاء لفن الغناء ، واهتمامهم الشديد بدراسته وتطوره ، وعلى رأسهم الواثق والمعتمد . فالأول له معرفة عميقـــة بالأهزاج والألحان والأصوات[6] ، وكان يأمر المغنين بغناء ما يخرجه من الأصوات ويهتم بالتلحين إلى درجة المقارنة بينه وبين إسحاق ، ويشهد له المؤرخون ، فقال السيوطى « وكان الواثق أعلم الخلفـاء بالغناء وله أصوات وألحان بلغت حوالى المائة »[7] .

أما المعتمد ــ كما يذكر عنه المسعودى[8] ــ فكان شغوفاً بالطرب وبفن الغناء والموسيقى ، وكان ملازماً لابن خرداذبة الكاتب المعروف فى الغناء والموسيقى ، إذ

---

(١) الأصفهانى ، الأغانى ج ٩ ص ٢٧٦

(٢) و (٣) الأصفهانى ، الأغانى ج ٩ ص ٢١٥

(٤) الأصفهانى ، الأغانى ج ٩ ص ٢٨٦

(٥) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٦١ ، قيل كان لا ينصرف عن مجلسه مغن أو مغنية إلا ويدفع لهم بصلة أو كسرة قلت أم كثرت كما كان يفعل أبو العباس .

(٦) الأصفهانى ، الأغانى ج ٩ ص ٣٣٥

(٧) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ١٣٦

(٨) المسعودى ، مروج الذهب ج ٢ ص ١٠٦

دخل عليه يوماً وفى مجلسه عدد من الندماء فسأله المعتمد عن أنواع الطرب ، فقال على ثلاثة أوجه ؛ ضرب محرك ينعش النفس وضرب شجن وحزن؛ وضرب يكون فى صفاء النفس ولطافة الحس ... إلى آخره .

أما آلات الطرب فتتكون من المزمار ، الناى[١] ، الرباب[٢] ، العود[٣] ، الطنبور[٤] ، الرق [٥] ، الطبل[٦] ، المعزفة[٧] ، السكلارنيت[٨] ، السرناى[٩] ، الجنك[١٠] ، الونج[١١] إلى آخره .

فقيل ناى[١٢] زنامى إخترعه زنام ، وأول من ضرب فى هذه الآلة فى عهد المعتصم عاصى الرشيد والمعتصم والواثق والمعتز . أما العود فقد عرف عند العرب وهو من الآلات الوترية ، ووصفه الشعراء بقولهم كثيراً فى شعرهم[١٣] وضرب عليه العرب كثيراً ، ويعتبر من الآلات المرغوبة ؛ أخذ من الفرس ، واستطاع زلزل أن يحدث الضرب على العود بعيدان الشنابيط ، وكانت قبلا على عمل عيدان الفرس ، فجاءت عجيباً من العجب[١٤] ووصف الخوارزمى العود وصفاً دقيقاً وكيفية الضرب عليه[١٥] .

أما الطنبور فيعتبر من الآلات الموسيقية المشهورة والمهمة عند العباسيين ، وسمى أحياناً من يدق عليه باسمه كعبيدة الطنبوريه ، واشتهر بالضرب عليه سلمان

---

(١) الشابشتى ، الديارات ص ٧١

(٢) الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧ ؛ التنوخى ، نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٩٣

(٣) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٥١

(٤) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ٧٠

(٥) الشيرازى ، المسبة ص ١٠٩

(٦) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٨

(٧) الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(٨) و (٩) الشابشتى ، الديارات ص ٧٢

(١٠) و (١١) الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(١٢) البحترى ، الآداب السلطانية ص ٣٢٠

(١٣) الشابشتى ، الديارات ص ١٦٨

(١٤) الأصبهانى ، الأغانى ج ٥ ص ٢٠٢

(١٥) الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧ — ١٣٨

الطبال[١] وابن القصار فى مجلس[٢] المعز ، وكلاهما من المغنين فى القرن الثالث الهجرى . وأشهر أنواع الطنبور الميزان البغدادى الطويل[٣] . وفى المسعودى وصف شامل للآلات الوترية كآلة المربع والمستطيل والمدورة ، إلى آخره[٤] . أما الطبل فيقول المسعودى أنه أخذ من الفرس[٥] . والرباب وهو ما يجىء حتى يحجى صوته ولايضرب ، عرفت عند الفرس. والقثارة واللوزا وغيرها أخذت من الهنود[٦]. وهناك تشابه مابين المزمار[٧] والكلارنيت[٨] ، وهو آلة ينفخ فيها كالمزمار، وصنعها أحمد بن موسى المهندس ، وعند التصفير يرسل منها الماء فيسمع لها متكونة من عدة دفوف يسمع لها صوت كالجلجل[٩] ، وهناك آلات كثيرة أخرى كالشهرود[١٠] اخترعت فى القرن الثالث الهجرى (إخترعها حكيم بن أحوص السفدى) وآلة بوران التى سميت الآلة[١١] باسمها وغيرها من الآلات .

(١) الشابشتى ، الديارات ص ٩٩ ؛ الأصفهانى ، الأغانى ج ٢ ص ٢٨ - ٣١

(٢) الشابشتى ، الديارات ص ١٠٧

(٣) الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(٤) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٥١ — ٢٥٢

(٥) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٨

(٦) ابن الجوزى ، المدهش ص ٢٣٢

(٧) الوشاء ، الموشى ص ١٩١

(٨) الشابشتى ، الديارات ص ٧٢

(٩) الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(١٠) الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(١١) سيد أمير على ، ص ٣٩١

المجالس الاجتماعية في العصر العباسي

١ — المجالس الغنائية :

أقيمت بالدرجة الأولى فى قصور الخلفاء وأصحاب المراتب العالية ، واشتهرت هذه فى العصر العباسى ، خاصة فى عهد الرشيد والمتوكل والمقتدر والواثق . ولعقد مثل هذه المجالس مناسبات عديدة ، منها أنها أقيمت فى أول يوم الخلافة ، إذ يدخل المثقفون على الخليفة الجديد ويغنون له أبيات شعرية تمجد الخليفة الجديد ، وقيل إن إبراهيم الموصلى أول من غنى للرشيد فى اليوم الأول ؛ قال(١) :

إذا ظلم البلاد وتجلتنا منها ردن الإمام لها ضياء
بها ردن استقام الصراع فينا وغاض الفجور وانفسح الرجاء

أو أن تقام لمجرد التسلية والإيناس والاستماع للغناء والموسيقى ، خصوصاً فى عهد هارون(٢) والواثق والمتوكل والمعتز ، فيكثر فيها الشراب ويشترك الندماء والجوارى . وذكر أن الواثق أقام مجلسين متتاليين فى يوم واحد ، وأقامها أيضاً فى يومين متتاليين(٣) .

أو لإزالة الشعور بالانقباض ، وإزالة حالة الغضب والهياج ، كما فعل المنتصر يوماً ، إذ دعى بينان بن الحرث العواد وكان مطرباً عبيداً فأحضره فغناه .

لقد طال عهدى بالإمام محمد وما كنت أخشى أن يطول به عهدى(٤)

أو قد تقام فى مناسبات الأعياد ، خصوصاً النوروز والمهرجان . أمر الراضى فى

---

(١) الأصفهانى ، أغانى ج ٥ ص ٢٠٣

(٢) كان الرشيد يجمع المغنيين والموسيقيين دائماً للتسلية فجمع يوماً ابراهيم وزلزل وبرصوما فكونوا جوقاً موسيقياً ، المغنى والزامر والضارب « أغانى ج ٥ ص ٢٤١ » ؛ النويرى ، نهاية الأرب ج ٥ ص ٢١٤ — ٢١٥ ، مجلس الرشيد الذى حضرته ألفى جارية فى أحسن زى .

(٣) الشابشتى ، الديارات ص ١٠٧

(٤) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ٧٨

ليلة عيد المهرجان بإحضار الجلساء ، وقعد فى مجلس التاج على دجلة ، وأجاز فى ذلك اليوم من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب ، فلم يكن أحسن منه فرحاً(١) .

وتقام أيضاً فى أعياد المسيحيين، إذ يشترك المسلمون فى تلك المناسبات ـ حتى الخلفاء ـ فالمأمون جلس فى يوم الشعانين ، وبين يديه عشرون وصيفة راميات ، تخرجن بالديباج الرومى وعلقن فى أعناقهم صلبان الذهب، وفى أيديهن الخوص والزيتون، وغنى إبراهيم

ظباء كالدنانير ملاح فى المقاصير
جلاهن الشعانين علينا فى الزنانير

ورقصت الجوارى أنواع الرقص والمأمون فى حالة سكر ، ثم أعطى المغنى ألف دينار ووزع على الجوارى ثلاثة آلاف دينار(٢) .

وتقام فى مناسبة ختان الأولاد ، واشتهرت حفلة ختان عبد الله المعتز ابن المتوكل ، حضر المجلس أربعمائة بليه ، أى راقصة، عليهن أنواع الثياب، وحملن فى أيديهن أنواع الزهور والرياحين والنرجس والفواكه ، ونثرت على الرؤوس ، وحضر المجلس المغنون والموسيقيون أمثال عمرو بن بانة وابن المكى وسليمان الطبال وصالح الدقاق ، وغيرهم كثيرون(٣) .

هذا ، وقد تجرى فيها مناظرات ومناقشات تدور حول صنعة الغناء والموسيقى وتاريخهما وتطورهما ، وكذلك عن الرقص والتحكيم بين المغنين والموسيقيين(٤) .

وأحياناً تقام حفلات موسيقية فقط خاصة تسمى (بزيات الخاتون) يشترك فيها مائة عازف(٥) .

أما طريقة الجلوس بالنسبة إلى الخلفاء العباسيين فمنهم من لم يظهر أمام الندماء

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٦٢
(٢) الأصفهانى ، الأغانى ج ١٩ ص ١٣٨
(٣) الشابشتى ، الديارات ص ٩٩
(٤) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٧
(٥) سيد أمير على ، الحضارة ص ٣٨٧

والمغنين ويستمع إليهم من خلف الستارة[1] ، كما فعل أبو جعفر المنصور . ومنهم من اختفى[2] ، ثم ظهر ، كالمهدى والهادى والرشيد . أما المأمون فقد امتنع عن إقامة مجالس غنائية لمدة سنتين ثم ظهر أمام المغنين[3] . ومنهم من اهتم بها اهتماماً كبيراً إلى درجة انشغاله بها ليالى متتالية لحبه الطرب ، كالواثق[4] والرشيد[5] وغيرهم .

أما الجلوس فى المجلس فيكون بدرجات ، فالمتقدمة فيها العلماء وأهل الأدب والرواة ، ثم تأتى طبقة الندماء ثم المغنين . وقد طلب إسحاق يوماً من المأمون الجلوس مع أهل العلم والأدب بدون غناء ، وإذا غنى يتقدم ويجلس مع المغنين ثم يرجع مرة أخرى . وحتى المغنين فقد رتبهم الرشيد بمراتب وصنوف مختلفة ، تبعاً لمقدرتهم الغنائية والموسيقية[6] . وأما المجالس التى تحضر فيها المغنيات ، فتفصل بينهن وبين الخليفة أو الرجال ستارة ، ويقف شخص يشرف على إدارة حفلة الغناء يسمى بصاحب الستارة[7] عليه أن ينفذ مايطلبه الخليفة من المغنيات . قيل أحضرت شارية فى مجلس المعتز[8] لتغنى ، وجلست خلف الستارة ، وأخذت تناقش الرجال فى الغناء[9] . وقد وصف المؤرخون الستارة بأنها مطرزة بالذهب[10] ومن خلفها الجارية تغنى .

والظاهر أن هناك بعض الجلسات ، جلس الخلفاء فيها مع المغنيات بدون ستارة . ذكر أن المأمون جلس يوماً وعن يساره تسعة مغنيات وعن يمينه تسعة مغنيات أيضاً ؛ وطلب منهن أن يغنين ، وطلب من إسحاق وإبراهيم أن يحكما بينهن[11] وأكثر من ذلك أن المقتدر كان يجلس مع الجوارى خلف الستارة التى تفصله عن المغنين

---

(١) الجاحظ : التاج ، ص ٣٣
(٢) الجاحظ : التاج ، ص ٣٣ ؛ ابن طيفور ، بغداد ص ١٧٩
(٣) الجاحظ : التاج ص ٣٣
(٤) الشابشتى ، الديارات ص ١٥٧
(٥) أغانى ، جـ ٥ ص ١٦٦ إخراج ابراهيم من السجن لإحياء حفلة غنائية فقط .
(٦) الجاحظ ، التاج ص ٤١
(٧) الجاحظ : التاج ، ص ٣٣
(٨) الشابشتى ، الديارات ص ٧٩
(٩) الشابشتى ، الديارات ص ٧١
(١٠) البيهقى ، المحاسن والأضداد ص ٤٠١
(١١) ابن طيفور ، تاريخ بغداد ص ١٠٥

والموسيقيين ، فإذا أراد شيئاً أرسل شخصاً يطلب منهم الغناء . وبين يدى كل مغن كأس فيه خمسة أرطال من النبيذ وقدح ومغسل وكوز ماء . وقد تغنى الجوارى أيضاً(١).

وكما كانت المجالس الغنائية تعقد فى قصور الخلفاء ، كانت تعقد أيضاً فى بيوت الأمراء والوزراء . وقد لاتقل أبهة وروعة وبذخاً وإسرافاً عن سابقتها ، ويحضرها حتى القضاة الذين قد يطرحون الحشمة ليلا ثم يرجعون إلى وقارهم . ومن بينهم أشهر القضاة كابن مترعة وابن معروف والقاضى التنوخى المعروف . قيل ، حضروا فى مجلس الوزير المهلبي الغنائى وانغمسوا بالطرب ونسوا الوقار إلى درجة وضع كل منهم لحيته فى شراب من قطر بل أومكبراً بكأس من الذهب من ألف مثقال ، ثم يشرب أكثره ويرش بعضهم على بعض ، ويرقصون وعليهم المصبغات إلى آخره ، وقال الشاعر فى ذلك .

مجالس ترقص القضـاة بهـا ... إذا انتشوا حلوة فى مخانق الدم
وصـاحب يخلط المجون لنا ... بشيمة حـلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبـه عبثـاً ... أمل مثـل حمرة العــلم
حتى تخال العيون شيبتـــه ... شيبة فصلان ضرجت بدم(٢)

وعرف أبو الحسن على بن محمد بن الفرات بأبهة الحفلات الغنـائية التى كانت تقام فى داره ، ففى إحدى الحفلات أحضر المغنيات خلف الستارة ، ومن بينهم الجارية بدعة فغنت وضربت على العود ، فاستحسن أبو الحسن ما أتت به .

فطرب وقال شعراً :

إذا بدعـة جردت عودهـا ... فذلك فى ضربهـا كل شعب(٣)
تغنى — فتجنى ثمار القلوب ... وتهدى سروراً إلى كل قلب

(١) الأصفهانى ، الأغانى ج ٥ س ٢٢٢
(٢) الثعالبى ، يتيمة الدهر ج ٣ س ٣٣٢
(٣) الصابىء ، الوزراء س ٢١٤ — ٢١٥

٢ — مجالس القصاص :

مجالس القصص نوعان : عامة وخاصة ، فالعامة يجتمع فيها نفر من الناس للقاص ويعظهم ويذكرهم . وأما الخاصة فقد أوجدها معاوية ، يقف القاص بعد صلاة الصبح ويذكر الله ويدعو للخليفة[١] . وهذه المجالس تعقد على شكل حلقات[٢] في المساجد[٣] ، ثم أخذت تعقد في الطرقات[٤] والأسواق[٥] والمقابر[٦] . فالإسلام لم يمنع القصاص من القيام بمهمتهم بل شجعهم وذكرهم[٧] بالحسنى في القرآن ، قال تعالى « نحن نقص عليك أحسن القصص »[٨] ، وقال « فأقصص القصص لعلهم يتذكرون » [٩] وغيرها من الآيات ، كما أن الرسول الأعظم (ص) ذكرهم وامتدحهم[١٠] . وهذه الآيات دلت على أن القصص لم تكن وليدة الإسلام ، بل كانت قبل ذلك عند العرب ، ولكنها أصبحت عند ظهور الإسلام في القرن الأول الهجرى عبارة عن قصص دينية[١١] تهدف إلى معرفة الخالق والتمسك بالأخلاق إلى غير ذلك من الحسنات . واختلف المسلمون في تعيين زمن ظهور مجالس القصص ، فمنهم من قال في عهد عمر بن الخطاب ، والمقريزى قال[١٢] في عهد معاوية ؛ وربما كانت في عهد عثمان . ولكن معاوية أحدث القصص الخاصة ومنع القصص العامة وسمح برواية القصص الخاصة ؛ وفيها يجلس القاص بعد صلاة الصبح يدعو للخليفة ولأهل

---

(١) آدم متز ، الحضارة جـ ٢ ص ١٠٣

(٢) آدم متز ، الحضارة جـ ٢ ص ١١٤

(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد جـ ٣ ص ١٢٣

(٤) الخطيب ، تاريخ بغداد جـ ٣ ص ١٢٢ ؛ الثعالبي ، يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٣٦٨

(٥) الثعالبي ، يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٣٦٦

(٦) ابن الجوزى ، تلبيس ابليس ص ١٢٢

(٧) ابن الجوزى ، تلبيس ابليس ص ١٢٠

(٨) القران الكريم ، سورة يوسف آية ٣

(٩) القرآن القريم ، سوره الأعراف آية ١٧٦

(١٠) آدم متز ، الحضارة جـ ٢ ص ١٤١

(١١) الجاحظ ، البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٦٧ — ٣٦٨

(٢) الخطط ، جـ ٢ ص ٢٥٣

(١٣) الخطيب ، تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٠١

ولايته ولحاشيته إلى آخره[١] ، بعد الدعاء للنبي (ص) . فالقاص مهنته إلقاء الآيات والأحاديث وأخبار السلف[٢] والحكايات[٣] على الناس . والظاهر أنه في القرن الأول الهجرى ـ حتى منتصف الثانى ـ لا يمكن التمييز بوضوح بين الواعظ والقاص ، فأطلق على القصاص إسم الوعاظ المتطوعين[٤] لأن كلا المهنتين كانت تخدم المجتمع خلقياً ودينياً ، لذا لم يتعرض أحد للقصاص خصوصاً العلماء الذين رضوا عنهم لأنهم كانوا يبثون روح الزهد بين العامة . ومنهم إبراهيم التيمى[٥] القصاص ، كان قاضياً كقاضى مكة الذى كان يروى عن الصحابة مثل ابن هريرة ، ومنهم الخطباء المثقفون كأبى بكر الهندى وممطوف[٦] ومنهم البلغاء العظماء من قراء القرآن القائم بالتدريس ، ومنهم العلماء العارفون للغات أجنبية بجانب العربية كابن سيار الأسرارى[٧] . حتى أنه كان يترجم من اللغة العربية العظمى إلى الفارسية العظمى وبالعكس بطلاقة ، أثناء وعظه ، وهكذا كان غيرهم . ولكن لم تستمر هذه الحالة ، إذ جاء بعد هؤلاء العلماء طبقة من القصاصين قليلى المعرفة حتى عن الأنبياء والمرسلين[٨] غايتهم الكسب والتسلية واللعب بعقول العامة[٩] ، وقد ظهروا فى القرن الثالث حيث أخذت الروح الدينية[١٠] والأخلاقية تختفى من مجالسهم تدريجياً ، حتى جاء القرن الرابع ، وإذا بالقصاص ينزلون إلى غمار العامة ، وصاروا يقصون لهم القصص الدينية الخرافية والأساطير والنوادر فى المساجد والطرقات ، وكان يجتمع إليهم رجال ونساء فيرفعون أصواتهم بالدعاء ويمدون أيديهم لأخذ الأموال[١١] .

هذا الانحراف يرجع إلى تدهور شخصية القاص من جميع الوجوه ، وإلى مستوى

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠١

(٢) السبكى ، معيد النعم ص ١١٣

(٣) المسعودى ، مروج الذهب ج ٨ ص ١٦١

(٤) آدم متز ، الحضارة ج ٢ ص ١٠٣

(٥) ابن الجوزى ، صفة الصفوة ج ٢ ص ٩ — ٥٠

(٦ و ٧) الجاحظ ، البيان ج ١ ص ٣٦٧

(٨) الثعالبى ، يتيمة الدهر ٣ ج ص ٥٢

(٩) ابن الجوزى ، تلبيس ص ١٢١ .

(١٠) الجاحظ ، البيان ج ١ ص ٣٦٧ .

(١١) المكى ، قوت القلوب ج ١ ص ١٤٩ .

عقلية العامة . فالقصاص الكذابون انتشروا في العراق في القرن الثاني الهجري ، ومنه انتقلوا إلى آسيا الصغرى والحجاز[١] وهؤلاء استغلوا جهل العامة من جهة ومحبتهم لهم من جهة ثانية ، إذ قيل أن العامة كانت تدافع عن القاص حتى لوكان غير لائق بهذا المنصب . حكى أن عثمان الوران قال : رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام فقلت له : ويحك أما تستحي ؟ فقال لي : أرأيت لو كنا في دار فيها بقر كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا . قلت : فاصبر حتى أعلمك بأنهم بقر . فقام ، فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم : روى لنا غير واحد أن من بلغ لسانه أرنبة أنفه لن يدخل النار . فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفه ويقدره حتى يبلغها أم لا . فلما تفرقوا ، قال لي العتابي : ألم أخبرك أنهم بقر[٢] ؟

وهناك قصص كثيرة وحوادث تدل على دفاع ومحبة العامة للقصاص ورغبتهم في الحضور لمجالسهم أينما عقدت .

هذا ، ومن القصاص من اتصف بفساد الأخلاق كأبي كعب القاص[٣] وأبي سالم الذي قلع باب المسجد يوماً لأن باب داره سرقها اللصوص ، وعندما قالوا له : ماتصنع ؟ قال : أقلع هذا الباب فإن صاحبه يعلم من قلع بابي[٤] ومنهم من يذكر بدعاً[٥] وأخباراً كاذبة لا علاقة لها بالدين ، ومنهم من ينوح على الموتى ويصف ما يجرى لهم من البلاء والغربة إلى آخره ، أو قد ينشد أشعاراً غزلية ويقول محبة الله ، أوقد يحرك يديه ويصفق بها ويحرك رجليه ويضرب بها الأرض إلى آخره من حركات الجسم التي يريد بها أن يجذب إليه أنظار العامة ومن ضمنهم النساء ، كما يقول ابن الجوزى[٦] . أو قد يفسر بعض الكلمات تفسيراً غير صحيح لقلة معرفته باللغة العربية أو لكونه عجمياً . قيل سؤل أحد القصاص عمن تسميه العصفور ، فأجاب : لأنه عصى وفر !

---

(١) آدم متز : الحضارة ج ١ ص ١٢٨
(٢) الأصفهاني : الأغاني ج ١٣ ص ١١٤
(٣) الجاحظ : الحيوان ج ٣ ص ٢٤ — ٢٥
(٤) ابن الجوزى : الحمقى والمغفلين ص ١٢٥
(٥) الغزالي : إحياء العلوم ج ٢ ص ٣٣١
(٦) تلبيس إبليس ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

وقيل له : فالطفشيل ، قال : لأنه طفا وشال[١] ! وحكى عن مدى جهالة العامة والقاص أيضاً أن أحدهم وقف يوماً وهو يقول : إذا مات العبد وهو سكران وحشر وهو سكران ، فقال رجل فى طرف الحلقة لآخر : هذا والله نبيذ جيد يساوى الكوز منه عشرين درهما[٢].

هذا ، وقد اقتبست القصص الإسلامية من القصص الهندية ككليلة ودمنة[٣] طريقة التحدث عن ألسنة الطيور والحيوانات ، ومن القصص الفارسية كألف ليلة[٤] وليلة الحوادث الخيالية البعيدة عن الدين ، فألف سهل بن هارون[٥] وعلى العتابى على لسان الحيوانات ، وقام الجهشيارى أيضاً بكتابة ألف سحر وسحر[٦] ، ولكنه توفى ولم ينته الكتاب ؛ بالإضافة إلى دخول العقائد وآراء الأديان القديمة[٧] إلى مجلس القصاص . ولعب الوراقون أيضاً دوراً كبيراً فى دفع القصاص إلى الانحراف ، فأخذوا يصنفون ويؤلفون القصص الخيالية ، كما فعل ابن العطار وابن دلان[٨] ، واستمرت القصة ومجالس القصاص فى التدهور فى القرن الرابع وحتى القرن الخامس، حيث شاع انتشار الحكايات والأسمار وكثر عدد المستمعين لمجالسهم من الرجال والنساء على السواء[١٠] .

وقد اتخذوا بالإضافة إلى ماذكرناه طرقاً أخرى لكسب المال ، فنجد أحد القصاص يقف بطرف الطريق يقص عن فضائل على ، وآخر يقف فى الطرف الثانى يقص عن

(١) الحموى ، معجم البلدان ج ١ ص ٣٩٣
(٢) ابن الجوزى ، أخبار الظراف ص ٩٠
(٣) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧
(٤) المسعودى ، مروج الذهب ج ١ ص ٤٣٧
(٥) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧
(٦) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧
(٧) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٥٦
(٨) ابن النديم ، الفهرسهت ص ٤٣٧
(٩) القفطى ، تاريخ الحكماء ص ٣٣١
(١٠) ابن الجوزى ، تلبيس ١٢٢

فضائل أبى بكر ؛ والناس تدفع لهم النقود[1] كل حسب ميوله ، فلا يفوتهما درهم . أوقد يتفقون مع أحد الأشخاص أن يجلس مجلسهم ويسمى بالكوز ، فيأمر القاص أصحابه باعطائه النقود ، ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه[2] . هذا ومن جراء ما وصلت إليه مجالس القصاص وقف فى وجههم الخلفاء ، وأصحاب السلطة من جهة ، والعلماء من جهة أخرى . فمن جراء إثارتهم للفتن ، وكسبهم الأموال بدون استحقاق منعهم بعض الخلفاء من الجلوس فى المجلس وإلقاء القصة للناس . وقد حدث هـذا فى سنة ٢٤٨[3] ، إذا أمر المتضد بمنع القصاص من الجلوس فى المساجد والطرقات ، بعد حصول الفتنة بين السنة والشيعة . وفى سنة ٣٦٧[4] أيضاً منع عضد الدولة القصاصين من الظهور وأعتبرهم آفة المجتمع الذى تعرض للحروب الأهلية المذهبية وإلى الجوع والمرض والهلاك . وكذلك فى سنة ٤٠٨[5] أمر القادر بضرب القصاص واندفع فى محاربة المذهب الشيعى من جراء موقف القصاص . وفى كتب التاريخ حوادث كثيرة من هذا القبيل خلال العصور العباسية المتأخرة على الأخص .

أما العلماء ، فقد وقفوا لهم بالمرصاد وحاربوهم بقدر ما يملكون ، ولو أن القصاص كانوا هم المسيطرون على المجتمع فى القرون الثالث والرابع والخامس . فمن هؤلاء المسعودى الذى وصفهم بالكذابين[6] ، ووصفهم الهمدانى بالمشعوذين ، وغيرهم كالبيرونى والمقدسى والسيوطى وابن الجوزى ، وغيرهم .

أما من علماء الدين فهؤلاء كانت لهم الأفضلية والأسبقية فى الوقوف فى وجه القصاص ، فيذكر أن مالك بن أنس منعهم من دخول مسجد المدينة[7] . وأحمد بن حنبل بعد أن كان يمجدهم بقوله « ما أحوج الناس إلى قاص »[8] ، انقلب عليهم لانحطاط

---

(١) الثعالبى ، يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٦٦

(٢) الثعالبى ، يتيمة الدهر ج ٣ ٣٦٢

(٣) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ص ١٨٢

(٤) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٣ ص ٨٨

(٥) الذهبى ، العبر ص ٦٥ — ٦٦

(٦) مروج الذهب ج ٥ ص ٨٦ الطبعة الأوربية

(٧) آدم متز ، الحضارة ج ٢ ص ١٤١

(٨) ابن الجوزى ، تلبيس ص ١٢٢

مستواهم الأدبي والخلقي والاجتماعي» . وكذلك المحدث المشهور الدارقطني ، وغيرهم من علماء الدين .

وبالرغم من تقرب ومحبة العامة لهم ، إلا أن هناك جماعات لم تتحمل المستوى المنخفض للقصاص . حكى أن رجلا جاء إلى قاص وهو يقر ألا يجرعه ولا يسيغه[١] فقال له : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويستسيغه . وكان الناس أيضاً يكفرونهم وينسبونهم إلى الخوارج[٢].

٣ — مجالس الوعاظ :

كانت لمجالس الوعاظ أهمية كبيرة في العصور الإسلامية الأولى (القرنين الأول والثاني) حيث يقوم الواعظ مقام المدرس ، ويحضر حلقته في مجلسه عامة الناس بدون تمييز ، ويأخذ على عاتقه تثقيف الناس ثقافة دينية ، يشرح لهم الشرائع ، ويجيب على جميع الأسئلة ؛ وأطلق على بعضهم عنـــدئذ الأساطين [٣] لأنهم يفتون الناس في أساطين المسجد . وهناك دوافع لاستمرار مجالس الواعظ وهي شعور الناس بالروح الدينية التي لا زالت عميقة في نفوسهم وكون الواعظ نفسه فقيهاً عالماً[٤] زاهداً ولاستمراره على التمسك بغايته الأساسية في الوعظ ، ألا وهي بث روح الإسلام وإرشاد العامة إلى الطريق الديني السليم[٥] .

وهناك نوع ثان من مجالس الوعظ وهو مجالس الوعظ الخاصة وهي على قسمين وعظ شخصي ، وهذا قد يتم بين الفرد والواعظ كما فعل كثير من الخلفاء[٦] إذ يسألون الواعظ أن يعظهم . ووعظ يتم بين الواعظ ونفر من الطلاب ويسمون بأهل الزوايا[٧] لأنهم يتخذون مكاناً منزوياً في المسجد ، أي في إحدى زواياه . وهذه

---

(١) ابن الجوزي ، الحمقى والمغفلين ص ١٢٥
(٢) آدم متز ، الحضارة ج ٢ ص ١٠١
(٣) المكي : قوت القلوب ج ٢ ص ١١
(٤) ابن الجوزي ، تلبيس ص ١٠٢
(٥) البيهقي : المحاسن والمساوىء ج ٣٣٨ وص ٣٤٤
(٦) الجاحظ : المحاسن والأضداد ص ١١٣
(٧) المكي : قوت القلوب ج ٢ ص ١١

الحلقات علمية غايتها تعليم الطلبة أمور الشرع(١) . ولكن هذه المجالس إنحرفت بتطور المجتمع العباسى ، خصوصاً فى القرنين الثالث والرابع ، إذ تعرض لمجالسهم الجهال من العوام والنساء كما يقول ابن الجوزى (٢) فتركوا العلم واهتموا بالكسب المادى ، فتنوعت عندهم البدع والخرافات، فمنهم ينزل فى وعظه إلى مستوى (٣) واطىء من حيث المعرفة واللغة ، وقد يكون أعجمياً تنقصه البلاغة . حتى أن الأمين العلوى حضر مجلس واعظ أعجمى ، فمدحه الواعظ ثم قال : أى شىء أقول فيك وأنت من بيت الطهارة ثم قال : الدعاء فى الخلوة ربما دخله نفاق ، وأنا أدعو لك فى الخلاء . قال : فقال لى الأمير مارضا من بيت الماء (٤) .

هذا ، ومنهم من خلع ثياب الزهد البسيطة والمرقعة ولبس الثياب الفاخرة الثمينة فيفتتن الناس به ويكون له جماعة ، كمحمد بن أحمد الواعظ الشيرازى(٥) وكذلك بن مميون الواعظ (٦) المعروف الذى عرف بلبسه أحسن الثياب وبأكله لأطيب الطعام (٧) . ومنهم من أخذ بالوعظ خارج المساجد فى مقابر رجال الدين - كمقبرة أحمد بن حنبل- يعقد فيها مجالس للوعظ،ومقبرة الشيخ معروف (٨) ومنهم من يعقد مجلسه فى الأماكن الشعبية كمحلة (كباب البصرة والحربية) وغيرها من الأماكن الكثيرة (٩).

والمفروض فى الواعظ أن يكون عنصراً صالحاً للمجتمع ، فلا يثير الفتن والإضطرابات ولا يستغل كآلة بيد أصحاب السلطة ، كما حصل فى القرنين الثالث والرابع ، إذ أصبحوا كالقصاص عاملا مثيراً للفتن المذهبية بين السنة(١٠) والشيعة وبين

---

(١) آدم متز : الحضارة ج ٢ ص ١٠٦
(٢) ابن الجوزى : تلبيس ص ١٢٠ — ١٢١
(٣) الغزالى : إحياء العلوم ج ٢ ص ٣٣١
(٤) ابن الجوزى : الحمق والمغفلين ص ١٢٦
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ح ٨ صفحة ١٣٤
(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ح ٧ صفحة ١٩٨
(٧) آدم متز ، الحضارة ، ح ٢ صفحة ١١٢
(٨) ابن الجوزى ، المنتظم : ح ٩ صفحة ٨٩
(٩) ابن الجوزى ، المنتظم ، ح ١٠ صفحة ٣٠
(١٠) أبو الفدا ، ح ٢ صفحة ٨٢

مذاهب السنة كالحنبلية ، والشافعية ، إذ استغلت الوعاظ هذه المذاهب في التهجم على المذاهب (١) الأخرى . فمن الحوادث المهمة سنة ٣١٨ (٢) حدوث الفتنة الكبرى بين الحنابلة والعامة حول تفسير قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » فقالت الحنابلة معناها يقعده الله على عرشه وقال غيرهم بل هي الشفاعة . وكذلك حادثة الاسفرايينى (٣) والأكنانى اللذين كادا أن يقتلا . وكذلك في حوادث سنة ٤٦٩ (٤) و٣٥٢ (٥) ، وغيرها ...

ومن الحكام من يقف بجانب أحد المذاهب ؛ فيطلب من واعظ المذهب أن ينشر ويعلن عن طريق وعظه ما يكنه الحاكم ، فيكون الواعظ خير عامل للدعاية بيد السلطة . وحوادث سنة ٤٠٨ (٦) خير دليل على ذلك ، إذ طلب الخليفة القادر بالله ضرب الشيعة ومنع القصاص ، فاستعمل الوعاظ في ذلك . وتكرر هذا عند حدوث الفتنة بينهما والراضي (٧) في موقفه ضد الحنابلة ومعاقبته لهم عن طريق الوعاظ . وحادثة سنة ٣٥٤ في عهد بني بويه عندما طلبوا من الوعاظ الاحتفال بيوم عاشوراء ولعن معاوية (٨) وفي إقامة الاحتفال بعيد الغدير (٩) سنة ٣٨٩ ، وأقام السنة العيد بيوم غار حراء وغيرها من الحوادث . .

هذا ، ومن الوعاظ من له القابلية والمقدرة على مسايرة السلطة (الخليفة) بمقدرته على الوعظ البليغ ، كما عرف ابن سمعون الواعظ المشهور الذي استطاع أن يجعل الخليفة الطائع في حالة بكاء عندما أرسل عليه ليؤنبه لتعرضه على الأمام علي ، فشعر ابن سمعون بذلك وانقلب في وعظه يمدح علياً وما زال يعظ حتى أبكى الطائع (١٠) . وهكذا استطاع أن يتخلص من عقوبة عضد الدولة عندما استمر في

---

(١) أبو الفدا ، ج ٢ صفحة ٧٤ . السيوطي تاريخ الخلفاء صفحة ١٥٤

(٢) الذهبي ، العبر ، ج ٣ صفحة ٦٥

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ صفحة ٨٨

(٤ ، ٥) الذهبي العبر ، ج ٣ صفحة ٩٨

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ صفحة ٢٤٨

(٧ ، ٨) الثعالبي ، ثمار القلوب صفحة ٥١١

(٩) المقريزي ، الخطط ج ٢ صفحة ٢٢٢

(١٠) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ صفحة ١٩٩

التحدث والجلوس في المسجد ، ولم يأتمر لامر المنع للقصاص من المساجد[١] .

ومن الوعاظ من ابتدأ بقراءة شعر في مجلسه بدل الآيات .. حكى في أبي زكريا يحيي بن معاذ الرازي[٢] الواعظ المشهور أنه ابتدأ بشعر عندما صعد على المنبر وقال :

مواعظ الواعظ لن تقبلا — حتى يعيها قلبه أولا
ياقوم من أظلم على واعظ — خالف ماقد قاله في الملا
أظهر بين الناس إحسانه — وبارز الرحمن لما خلا[٣]

هذا ،وفي عهد إنحراف الوعاظ إزداد عدد النساء[٤] في المساجد . ومن الوعاظ من لم يضع حائلا[٥] بينهم وبين الرجال . ويؤكد الغزالي على منعهن من الحضور إذا أدى ذلك إلى الفتنة[٦] ومن الوعاظ من يتزين للنساء ، ويتكلم مستعملا حركات وإشارات كثيرة مع كثرة الإشعار ، فتحضر النساء مجلس هذا الواعظ ، ويؤدى إلى إنحرافها، فعلى الواعظ أن يظهر بمظهر الورع والهيبة والسكينة والوقار ، وزيه زى الصالحين[٧] .

ومن الوعاظ من يعتقد أن في التخويف والتعنيف والشدة في القول عبرة للمستمع ، قيل إن أحد الوعاظ حضر للمأمون لوعظه فأستعمل العنف في القول ، فقال له المأمون : يارجل أرفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني ، وأمره بالرفق متمثلا بقوله تعالى (فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى)[٨] .

ومن الوعاظ من يستغل مجلسه فيثير الفتنة بالتشنيع على واعظ آخر منافس له ، لذلك كانت السلطة تراقبهم ، وتناقش من يسيء منهم التصرف ، وقد تمنعه من الوعظ أو تطرده خارج البلاد ، أو قد تصدر مرسوماً يوقع عليه القضاة الفقهاء بعد توقيع

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٧ صفحة ٢٠٠
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، صفحة الصفوة ، ج٤ صفحة ٧١
(٣) متز الحضارة ، ج ٢ صفحة ١١٥
(٤) ابن الجوزي ، تلبيس ، صفحة ١٢٠
(٥) الغزالي ، إحياء ، ج ٢ صفحة ٣٣١ . ابن الجوزي ، تلبيس ، صفحة ١٢١
(٦،٧) الغزالي ، إحياء ، ج ٢ صفحة ٣٣١
(٨) الغزالي ، إحياء ج ٢ صفحة ٣٢٩

الخليفة ، ويوزع على الوعاظ لتلاوته فى حلقاتهم ، وذلك عندما تحدث منازعات مذهبية فتنشط بعض العناصر لبث آرائها بين الناس . هذا ولا ننسى دور العامة فى إستمرار الوعاظ فى إنحرافهم ، حيث يتحمسون ويقفون إلى جانبهم ، ويدافعون عنهم لأنهم يغذون خيال العامة ويشاطرون المكدين والشعراء فى ذلك ، حتى قيل أصبحت صناعة الوعاظ (أعلى مرتبه من ساسان)[1] .

---

(١) متز : الحضارة ، جـ ٢ صفحة ١١١ .